ومن المسائل الجزئية التي نلمس فيها هذا الخلط بين الآنية والزمانية كثير من الوحدات التي اختلف أهل البصرة والكوفة في كيفية تقطيعها كأسماء الإشارة أو الضمائر. وقد رجّح في بعضها رأي الكوفة مستأنسا في ذلك بما آل إليه الدرس اللّغوي الحديث وهو عنده الدراسة التاريخية المقارنة [1].

هذه إذن أهمّ مظاهر التجريبية عند ناقدي التراث النحوي الذين لم يصدروا في نقدهم عن انتماء صريح لعلم اللسانيات وإن كانت اللسانيات كيّفت مناخهم الفكري العام وأثّرت فيه. وهو تأثير خفي لا يكاد يلحظ عند صاحب إحياء النحو إلا أنّه ازداد وضوحا وبيانا عند صاحب مدرسة الكوفة. فأصبح «الدرس اللّغوي الحديث» مرجعا صريحا ترجّح بمقتضاه آراء مدرسة الكوفة على مدرسة البصرة وتنقد أعمال النحاة العرب بالاعتماد عليه. ولكن هذا الدرس الحديث قد بقي غامضا لأن القائلين به يردّدون أصداء لمبادئ نادى بها لسانيون ولكنهم لم يتيسّر لهم الاطلاع عليها مباشرة في مصادرها ولا هم اطّلعوا عليها بطرق منظّمة فكان منها ذلك الضعف وتلك الهنات التي أشرنا إليها.

ولكن مهدي المخزومي يمثل نهاية مرحلة تاريخية إذ تبدأ بعده مرحلة أخرى يغدو فيها انتساب اللّغويين إلى اللسانيات صريحا لا ضمنيا. وهي المرحلة الثانية التي نتولّى استعراضها.

4 - مظاهر التجريبية في مقاربات التراث التي تنتسب إلى علم اللسانيات

نقسّم أعلام هذه المرحلة التاريخية التي تتواصل إلى يومنا هذا إلى اتجاهين عامين يوافقان مجالين من مجالات الدراسة اللسانية. أمّا الاتجاه الأوّل: فنسميه بالاتجاه التاريخي المقارن وأمّا الثاني فنسميه الاتجاه الوصفي.

---

1 انظر مدرسة الكوفة ص 192/193.